

**المذهب النحوي : مفهوماً ومصطلحاً
وعرضاً وتقريراً ورصداً لأصوله**

الدكتور

د. سليمان عودة أبو صعيبيك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث :

يبيّن البحث الأسباب التي أدت إلى ظهور علم النحو، ثم يرصد البحث المذهب النحوي من حيث المفهوم والاصطلاح، ويحاول هذا البحث التفريق بين مصطلحي المذهب النحوي والمدرسة النحوية في تاريخ النحو العربي، ويثبت أنّ الصحيح هو مصطلح المذهب النحوي، فلا يوجد عندنا مدارس نحوية تشبه المدارس الأدبية التي ظهرت عند الغرب في عصر النهضة.

كما يدرس أصول المذهب النحوي وهي السماع، والقياس، والإجماع، واستصحاب الحال، ويُبيّن أهم المصطلحات النحوية عند البصريين والكوفيين.

ويوضح خصائص كلّ من المذهبين البصري والكوفي، ويشير إلى أهم علماء النحو القدماء في جميع البلاد العربية.

===== ? ? ?? ?? ?? ?? ?? ?? ? ? ? ? ? ?
----- ? ??? ? ? ? :? ? ? -----

Abstract:

Grammar Doctrine

Its concept, terminology, presentation, statement and origins

This research explains the reasons behind the emersion of Arabic Grammar. Also, it shows the grammar doctrine in terms of concept and terminology. This research tries to differentiate between grammar doctrine and grammar school in the history of Arabic syntax. Besides, this research emphasizes that the grammar doctrine is the most correct, that is, we don't have grammar school similar to those literature schools that appeared in the west in the renaissance period. Moreover, this research studies the origins of the grammar doctrine; hearing, measurement and unanimity. And it presents the most grammatical terms for Basri and Koufi scholars. Finally, this research shows the characteristics of the Basri and Koufi grammar doctrine, and it refers to the most important grammarians in the Arab world.

_____ ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? _____

وقال ابن سلام^(١): "وضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع والجرّ والجزم".

ومن تلاميذه: يحيى بن يعمر، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ونصر بن عاصم، وعطاء بن أبي الأسود^(٢). وقد كان لهم دور كبير في تطوير النحو الذي تعلموه من أستاذهم أبي الأسود، حتى وصل إلى من جاء بعدهم مثل: ابن أبي إسحاق، وأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب.

(١) ينظر: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص ١٢.

(٢) الأفغاني: سعيد، في أصول النحو، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٦٦.

_____ ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? _____
_____ ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? : ? ? ? _____

١- المذهب (عند الفلاسفة) ^(١) : مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة منسقة .

٢- والمذهب (عند أهل البيان) ^(٢) : هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، بأن يورد ملازمة ويُسْتثنى عين الملزوم، أو نقيض اللازم، أو يورد قرينة من القرائن (الاقترانية) لاستنتاج المطلوب .

٣- والمذهب النحوي : هو مجموعة من الآراء والمسائل النحوية التي لها خصائص مميزة، قال بها مجموعة من العلماء المقيمين في نفس البلد، ثم سار من جاء بعدهم على آرائهم هذه وأخذوا بها. أو كما قالت خديجة الحديثي ^(٣) : " الزبيدي أول من استعمل كلمة مذهب للدلالة على الاتجاه النحوي الذي عُرف به هذا البلد، والآراء النحوية التي قال بها رجاله ."

(١) ينظر : إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، أشرف على طبعه : عبد السلام هارون، المكتبة العلمية- طهران، ط/١، د.ت، مادة (ذهب).

(٢) ينظر : الجرجاني : علي بن محمد السيد الشريف، التعريفات : معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لفوي نحوي، تحقيق : عبد المنعم الحفني، دار الرشيد - القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٦٨ .

(٣) ينظر : الحديثي، المدارس النحوية، ص ٢٧.

== ? ? ?? ?? ? ? ? ? ? ? ? ? : ? ? ? _____

ثانيًا : النحو

النحو في اللغة^(١): "النحو نحوت نحوك قصدت قصدك، ومررت برجل نحوك أي مثلك، ورجعت إلى نحو البيت أي جهته، وهذا الشيء على أنحاء أي أنواع، وعندني نحو ألف درهم أي مقدار ألف درهم".

والنحو في الاصطلاح^(٢): "النحو هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما وقيل النحو علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده".

وقد عبر ابن جني عن النحو في اللغة والاصطلاح في كتابه الخصائص في باب القول على النحو بقوله^(٣): "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب، وغيره كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم؛ وإن شدد بعضهم عنها رُدَّ به إليها وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوًا، كقولك قصدت قصدًا، ثم خصَّ به انتحاء هذا القبيل من العلم كما أنَّ الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي عرفته، ثم خصَّ به علم الشريعة من التحليل والتحرير؛ وكما أن بيت الله خُضَّ به الكعبة، وإن كانت البيوت كلها لله، وله نظائر في قصر ما كان شائعاً في جنسه على أحد أنواعه. وقد استعملته العرب ظرفاً وأصله المصدر".

(١) ينظر: الكفوي، الكلبيات، ٣٧٥/٤ .

(٢) ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢٦٨ .

(٣) ينظر: ابن جني، الخصائص، ٣٤ / ١ .

== ? ? ?? ?? ? ? ?? ? ? ? ? ? : ? ? ? ==
_____ ? ??? ? ? ? _____

ثالثاً: المدرسة

المدرسة لغة^(١): " دَرَسَ يَدْرُسُ دُرُوساً. وَدَرَسَتْهُ الرِّيَّاحُ : عَفَّتْهُ... وَمَدْرَسَتُهُ النَّعَمُ : طَرَبْتُه. وَالدَّرْسُ - أَيْضاً - : حِفْظُ الْكِتَابِ، وَدَرَسَ يَدْرُسُ دِرَاسَةً، أَوْ دَارَسَتْهُ كِتَاباً".

المدرسة اصطلاحاً^(٢): "مكان الدرس والتعليم. وجماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهباً معيناً أو تقول برأي مشترك، ويقال هو من مدرسة فلان على رأيه ومذهبه والجمع: مدارس".

(١) ينظر : الطالقاني: أبوالقاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آلياسين، عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤١٤ هـ -
١٩٩٤ م، ٢٨٢/٨ .

(٢) ينظر : إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (درس).

==== ? ? ? ? ? ? ? ? ? ?
==== ? ??? ? ? ? ? : ? ? ?

رابعًا : أ مذهب أم مدرسة عندنا ؟

اختلف الباحثون في هذه التسمية، فقال بعضهم المذهب النحوي، وقال آخرون المدارس النحوية، وكان بعضهم يخلط في استعمال هذين المصطلحين، وفي ما هو آت تفصيل لذلك :

قال ابن هشام^(١):" قال أبو عثمان المازني: دخلتُ بغداد، فألقيت عليَّ مسائل، فكنتُ أجيب فيها على مذهبي، ويخطئون على مذهبهم". وقال السيرافي^(٢):" غير أنَّ أبا إسحاق - إبراهيم بن السَّريِّ الزجاج - كان أشدَّ لزوما لمذهب البصريين، وكان ابن كيسان يخلط المذهبين". وقال الأزهرى عند حديثه عن المبرد في مقدمة معجمه " تَهذيب اللغة " ^(٣):" كان من أعلم الناس بمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه".

فمن خلال النصوص السابقة يتبين لنا أنَّ كلمة مذهب كانت معروفة عند النحاة، والمقصود بها الآراء النحوية التي يعتمدها العلماء الذين اشتغلوا في هذا العلم. وقالت خديجة الحديثي^(٤):" وكان الزيدي أول من استعمل كلمة " مذهب " للدلالة على الاتجاه النحوي الذي عرف به هذا البلد، والآراء النحوية التي قال بها رجاله".

وهذا القول لا يثبت أمام البحث إذ إن المازني المتوفى سنة (٢٤٧هـ) قبل الزيدي الذي توفي سنة (٣٧٩هـ) بأكثر من مئة سنة عرف المذهب النحوي،

(١) ينظر : ابن هشام : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق : مازن مبارك، ومحمد علي الحمد، راجعه : سعيد الأفغاني، دار الفكر - بيروت، ط/٣، ١٩٧٢م ، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) ينظر : السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص ٨١.

(٣) ينظر : ضيف : شوقي، المدارس النحوية، ص ١٢٤.

(٤) ينظر : الحديثي، المدارس النحوية، ص ٢٧.

السَّماع اصطلاحًا:

اختلف علماء العربية في مصطلح السَّماع، فذكر أبو البركات الأنباري بدلاً من السَّماع النقل وقال: "النقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حدّ القلة إلى حدّ الكثرة"^(١). وقال السيوطي في تعريف السَّماع: "وأعني ما ثبت في كلام مَنْ يوثق بفصاحته"^(٢). ويرى علي أبو المكارم إطلاق مصطلح السَّماع: "على ما يرويه العالم بعد سماعه بنفسه"^(٣)، وبعد أن يفرق بين السَّماع والرّواية يقول: "وعلى هذا فإنّ السَّماع هو الأخذ المباشر للمادة اللّغوية عن الناطقين بها"^(٤). ويؤثر حسام النعيمي استعمال كلمة التلقّي بدلاً من السَّماع؛ إلا أن استعمال ابن جني كلمة السَّماع مقابل كلمة القياس هو الذي صرفه عن استعمال كلمة التلقّي^(٥). أمّا سعيد الأفغاني فيذكر فائدة الاحتجاج بقوله: "إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة أو تركيب، بدليل نقلي صحّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة"^(٦).

وعلماء العربية متفقون على مضمون المصطلح، ويمكن أن نستخلص من هذه التعريفات الشروط التي يجب أن تتوافر في النص المنقول:

١- أن يكون الكلام العربي المنقول فصيحًا.

٢- ألا يكون الكلام المحتج به من كلام المؤلّدين.

(١) ينظر: أبو البركات الأنباري، لمع الأدلة، ص ٨١.

(٢) ينظر: السيوطي، الاقتراح، ص ٣٦.

(٣) ينظر: أبو المكارم: علي، أصول التفكير النحوي، منشورات الجامعة الليبية-كلية التربية، د.ط، ١٩٧٣م، ص ٢١.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص ٢١.

(٥) ينظر: النعيمي: حسام، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، منشورات وزارة الثقافة والإعلام-الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ط/١، ١٩٨٠م، ص ٢٣.

(٦) الأفغاني، في أصول النحو، ص ٦.

== ? ? ?? ?? ?? ? ? ? ? ? ? ? ? : ? ? ? ? ==

٣- ألا يكون الكلام المنقول شاذًا عن السماع والقياس.

٤- أن يكون المنقول عنهم عربيًا موثوقًا بلغتهم.

فالسَّماع أصلٌ من أصول النَّحو واللُّغة، ودليلٌ من أدلتها. وأشارت بعض الدارسين إلى أنَّ علماء العربية اعتمدوا على السَّماع في تدوين اللُّغة التي كان يتكلم بها العرب الخُلص، وكانت غايتهم من ذلك المحافظة على لغة العرب من التأثير باللغات الأعجمية والاضمحلال والدُّوب فيها، ممَّا يؤدي إلى الجهل بلغة القرآن والحديث النَّبوي الشَّرِيف، وإلى عدم فهمهما (١).

(١) ينظر: الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيوييه، مطبوعات جامعة الكويت،

ط/١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ص١٢٩.

== ? ? ?? ?? ?? ? ?? ? ? ? ?
_____ ? ??? ? ? ? :? ? ? _____

ولو عُلِمَ أنّ أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم،
لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر"^(١).

الموضوعات التي تدرس ضمن السماع :

أولاً : القرآن الكريم والقراءات القرآنية.

ثانياً : الحديث الشريف.

ثالثاً : الشعر العربيّ.

رابعاً : كلام العرب وأمثالهم.

(١) ابن جني، الخصائص، ٥ / ٢ .

_____ ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? : ? ? ? _____

أهم قواعد السماع^(١) :

١- المسموع إما مطرد، وإما شاذ، والاطراد والشذوذ أربعة أضرب:

أ- مطرد في القياس والاستعمال معًا : كرفع الفاعل ونصب المفعول به، وهذا أقوى مراتب الكلام.

ب- مطرد في القياس شاذ في الاستعمال، كالماضي من مثل : يدع ويذر.

ج- مطرد في الاستعمال شاذ في القياس مثل : " استحوذ" والقياس الإعلال "استحاذ".

د- شاذ في القياس وفي الاستعمال : مثال: "ثوب مصُونٌ وفرس مُقوَدٌ".

٢- لا تشترط العدالة في العربي المروي عنه، وإنما تشترط في الراوي.

٣- يقبل ما ينفرد بها لفصيح لاحتمال أن يكون سمع لغة قديمة بادل متكلمون بها.

٤- اللغات على اختلافها حجة كلها مثل: "إعمال الحجازيين لـ " ما "، وترك الإعمال لدى تميم.

٥- فيتداخل اللغات : إذا اجتمع في كل اما لفصيح لغتان فصاعدًا كقول الأصمعي : اختلف رجلا نفيا لصقر فقال أحدهما بالصاد، وقال الآخر بالسين فقررا الاحتكام لأول وارد عليهما، فحكياه ما هما فيه فقال : لأقولك ما قلتما : إنما هو الزقر، وعلى هذا يتخرج جميع ما ورد من التداخل.

٦- إذا دخل دليلا لاحتمال أسقطبها لاستدلال و هذا ماردبه أبوحيان على ابنما الكفيمسائل استدل بها : منها استدلاله لعلقصرا لأخبقوله :

(١) السيوطي، الاقتراح، بتصرف من ص٤٦-٥٩ ، والأفغاني، في أصول النحو، بتصرف من

_____ ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? : ? ? ? _____

٢-

لا يبين علم شاهد قبل تحريبهوا التوثيق من ضبطه، إذ كثيرًا ما تترد الشواهد في كتب النحاة محرّفة ويكون موضع التحرّيف هو موضع الاستشهاد على القاعدة ولو حرر الشاهد لما كان للقاعدة مؤيد كقول حميلان الذي روي :

فَقَالَتْ كَلَّالِنَا سَاءَ صَبَحَتْمَا نَحَالَسَانَكْ كَيْمَا أَنْتَعْرُوْ نَخْدَعَا

وقد استشهد النحاة بهذه الرواية على جواز الجمع بين "كي ، وأن"، لكن رواية الديوان تبطل هذه القاعدة السابقة "لسانك هذا كيتّعروْ نخدعا".

٣- لانكتفيا الكلام الأبتراء إذ كثيرًا ما يكون داعية الخطأ في المبنى والمعنى، فيجب الرجوع إلى الديوان نصاحب الشاهد أو المصادر المحققة إن كان نشرًا لمعرفة ما قبله وما بعده.

٤- ينبغي التفرقة بين ما يركب للضرورة الشعرية، وما يؤت به على السعة والاختيار، فإنما طمأنتا لنفس البناء القواعد على الصنف الثاني، ففي جعل الضرورات الشعرية قانونًا عامًا للكلام منظم هو نشرها خطأ كالأخطأ كقول الشاعر [قيس بن زهير العبيسي] :

أَلْمِيَأْتِي كَوَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي مِمَّا لَا قَتْلِبُؤُنْبِي زِيَاد

والشاهد في بيت قيس بن زهير الفعل المضارع المعتل "يأتيتك" حيث إنه أسكن الياء فيه في حال الجزم. حملًا لها على الصحيح. والفعل المضارع المعتل ؛ فإنه يجزم بحذف حرف العلة نيابة عن السكون.

٢ : القياس

== ? ? ?? ?? ?? ? ?? ? ? ? ? ? : ? ? ? ==

أركان القياس:

هي الأجزاء التي يتكون منها القياس، ولا يتم إلا بها، فلا بد لكل قياس من أربعة أركان :

أولاً : الأصل وهو المقيس عليه.

ثانياً : الفرع وهو المقيس.

ثالثاً : العلة الجامعة.

رابعاً : الحكم.

وذلك مثل أن تركب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يُسمَّ فاعله فتقول : اسمٌ أُسند الفعل إليه مقدّمًا عليه فوجب أن يكون مرفوعًا قياسًا على الفاعل، فالأصل هو الفاعل والفرع هو ما لم يُسمَّ فاعله، والعلّة الجامعة هي الإسناد، والحكم هو الرفع (١).

أولاً : الأصل " المقيس عليه " .

وهو ما اطرد من المسموع عن العرب، وقد حدّه أبو البركات الأنباري بقوله : " هو الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حدّ القلة إلى حد الكثرة " (٢).

ثانياً : الفرع " المقيس " .

وهو الركن الثاني من أركان القياس، ويتمثل في صورتين :

الأولى : قياس النصوص، وتظهر هذه الصورة واضحة في المراحل الأولى للقياس، وهي مرحلة الاستقراء. وفي هذه الصورة يكون المقيس مجهول الحكم، وغير منقول عن العرب، فيقاس على المنقول عنهم، وإلى هذا أشار ابن جني بقوله : " وقد نص أبو عثمان عليه، فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ؛ ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول، وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره. فإذا سمعت " قام زيد " أجزت " ظُرف بشرٌ وكرم خالد ". وقال أبو علي : إذا

(١) ينظر : أبو البركات الأنباري، لمع الأدلة، ص ٩٣ .

(٢) أبو البركات الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب، ص ٤٥ .

_____ ? ? ?? ?? ? ? ? ? ? : ? ? ? _____

قلت " طابَ الحشكَنانُ " فهذا من كلام العرب ؛ لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته
كلام العرب " (١).

الثانية : قياس الظواهر، ويكون المقيس في هذه الصورة معلوم الحكم ؛ لأنه قياس على
القواعد لا على النصوص، ويجب أن تكون هناك علة تربط المقيس بالمقيس عليه
للحصول على الحكم نفسه.

ثالثًا : العلة الجامعة.

وهي الركن الثالث من أركان القياس، ومن أجل العلة يأخذ المقيس الحكم
الذي في المقيس عليه، وعرفها أبو البركات الأنباري بقوله: "علة دليل على الحكم
يجعل جاعل، فصارت بمنزلة الأساس العام" (٢). وقيل: " هي السبب الذي تحقق في
المقيس عليه، فأوجب له حكمًا، وتحقق في المقيس أيضًا، فألحق به، فأخذ
حكمه " (٣).

رابعًا : الحكم.

وهو الركن الرابع من أركان القياس، والغاية التي يطلبها النحاة من عملية
القياس، ونتاج العلة التي توجد في كل من الأصل والفرع.

قسم النحاة الحكم أول الأمر إلى قسمين: الواجب والممتنع، وبعدها تعددت
الأحكام الناتجة عن القياس، فقسم السيوطي الحكم النحوي إلى ستة أقسام (٤):

- ١- الواجب : كرفع الفاعل، وتأخيرته عن الفعل، ونصب المفعول، وجرّ المضاف إليه،
وتنكير الحال والتمييز.
- ٢- الممنوع : كنصب الفاعل، وتقديمه على الفعل، ورفع المفعول، ورفع المضاف إليه،
وتعريف الحال والتمييز.

(١) ابن جني، الخصائص، ١/ ٣٥٧ .

(٢) أبو البركات الأنباري، الإعراب في جمل الإعراب، ص ١١٣ .

(٣) أبو المكارم : علي، أصول التفكير النحوي، ص ١١١ .

(٤) ينظر : السيوطي، الاقتراح، ص ٢٩، وفجال: محمود، الإصباح في شرح الاقتراح، دار

القلم- دمشق، ط/١، ١٩٨٩م، ص ٤٧.

== ? ? ?? ?? ?? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ==

٣- الحسن : كرفع المضارع الواقع جزاء بعد شرط ماضٍ، كقول زهير (١) :

وإِنَّا تَاهُ خَلِيلِيَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ لَأَغَاثِي مَالِي وَلَا حَرْمُ

٤- القبيح : كرفعه بعد شرط المضارع، كقول الشاعر (٢) :

يا أقرعُ بن حابسٍ يا أقرعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخوكَ تُصْرَعُ

فنلاحظ أنّ الفعل المضارع " تُصْرَعُ " جاء مرفوعاً بعد فعل الشرط المضارع، والأصل

أن يكون مجزوماً ؛ لذلك أخذ في هذا الموقع حكم القبيح.

٥- خلاف الأولى : كتقديم الفاعل في نحو : ضرب غلامه زيداً.

٦- الجائز على السواء : كحذف المبتدأ أو الخبر، وإثباته حيث لا مانع من الحذف

ولا مقتضى له.

(١) ينظر : سيبويه، كتاب سيبويه، ٦٦ / ٣.

(٢) ينظر : المرجع نفسه، ٦٧ / ٣.

== ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? ? : ? ? ? ? ? ? ? ?

أنواع القياس :

قسم أبو البركات الأنباري القياس إلى ثلاثة أنواع : قياس العلة، وقياس الشبه، وقياس الطرد.

أولاً : قياس العلة

وهو أن يحمل الفرع على الأصل، بالعلة التي علق عليها الحكم في الأصل نحو : حمل ما لم يُسمِّ فاعله على الفاعل بعلة الإسناد^(١). وأشار أبو البركات الأنباري إلى أنَّ الرفع يكون للأصل الذي هو الفاعل، وإنما أجري على الفرع الذي هو ما لم يُسمِّ فاعله بالعلة الجامعة التي هي الإسناد، وعلى هذا النحو ترتيب القياس^(٢). وقياس العلة قياس صحيح ؛ لأنه يوجب غلبة الظن.

ثانياً : قياس الشبه

وهو أن يحمل الفرع على الأصل بضرب من الشبه غير العلة التي علق عليها الحكم في الأصل، وذلك مثل أن يدل على إعراب الفعل المضارع بأنه يتخصص بعد شيوعه، كما أنَّ الاسم يتخصص بعد شيوعه، فكان مُعرِّبًا كالاسم. وذهب أبو البركات الأنباري إلى أنَّ قياس الشبه صحيح يجوز التمثل به ؛ لأنه يوجب غلبة الظن كما هو الحال في قياس العلة^(٣).

ثالثاً : قياس الطرد

وهو الذي يوجد معه الحكم، وتفقد الإخالة في العلة، وقد اختلف النحاة في كونه حجّة وانقسموا فريقين :

(١) ينظر : أبو البركات الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، ص ١٠٥.

(٢) ينظر : المرجع السابق، ص ٩٣.

(٣) ينظر : المرجع السابق، ص ١٠٧-١٠٨.

صور القياس :

ظهر القياس في عدة صور مختلفة، وكان ذلك نتيجة اختلاف النحاة في

المسألة التي يتناولونها، ومن أبرز صور القياس التي عُرفت عند النحاة :

١- حمل فرع على أصل : كإعلال الجمع وتصحيحه حملاً على المفرد مثل : " قيمة : قيم "، أو تصحيحه لصحة المفرد " زوج : زوجة " ^(١)، فالأصل هو الكلمة المفردة، والفرع هو جمعها، وقد أُجري الإعلال في جمع الكلمة ؛ لأنه أُجري في مفردها.

٢- حمل أصل على فرع : كإعلال المصدر لإعلال فعله " قام : قيامًا "، أو تصحيحه لصحة فعله " قاومت : قوامًا " ^(٢)، فالأصل المصدر " قيامًا "، وقد أُجري الإعلال فيه قياسًا على الإعلال الذي أُجري للفرع، وهو الفعل " قام " .

ويرى سيبويه أنّ العرب إذا شبّهت شيئًا بشيء، فحملته على حكمه، عادت أيضًا، فحملت الآخر على حكم صاحبه تثبيتًا لهما، وتميمًا لمعنى الشبه بينهما ^(٣).

٣- حمل نظير على نظير : ويأتي على ثلاثة أنواع :

الأول : قياس نظير على نظير في اللفظ، ومنه : دخول "لام" الابتداء، على "ما" النافية، كقول الشاعر ^(٤) :

وَلَكِن لَّا خِيَارَ مَعَا لِليَالِي

وَلَوْ كَانَ الخِيَارُ لَمَّا إفترقنا

(١) ينظر : السيوطي، الاقتراح، ص ٧٤ .

(٢) ينظر : المرجع نفسه، ص ٧٤ .

(٣) ينظر : سيبويه، كتاب سيبويه، ٢ / ٩١ - ١٠٥ .

(٤) ينظر : الأشموني: نور الدين، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: حسن حمد، دار

الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٨م، ٣/٢٩٤ .

أمّا من حيث السماع والقياس، فيمكن أن نقسم القياس إلى أربعة أقسام أيضاً هي : مطرد في القياس والسماع، ومطرّد في السماع لا القياس، ومطرّد في القياس لا السماع، وشاذ في القياس والسماع^(١).

وأما من حيث علاقة القياس بالشدوذ، فهو يقع في أربعة أقسام أيضاً هي: مطرد في القياس والاستعمال، مطرد في القياس شاذ في الاستعمال، ومطرّد في الاستعمال شاذ في القياس، وشاذ في القياس والاستعمال^(٢). فأقسام القياس من حيث علاقته بالسماع، والشدوذ هي نفسها.

٣ : الإجماع

الإجماع لغةٌ " : العزم والاتفاق، يُقال أجمع فلان على كذا أي عزم، ويُقال أجمع القوم على كذا أي اتفقوا " (٣).

والإجماع اصطلاحاً عند الفقهاء : " هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد - ﷺ - في عصر على أمر أو على حكم شرعي " (٤).

(١) ينظر : أنيس : إبراهيم، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط/٧، ١٩٨٥م، ص ١٣-١٤ .

(٢) ينظر : ابن جنّي، الخصائص، ١/ ٩٧-٩٨ .

(٣) الجوهري : إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق : أحمد عبد الغفار عطار، ط/٢، مادة (سمع)، ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (سمع) .

(٤) التهانوي: محمد أعلى بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناقي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان-ناشرون، ط/١، ١٩٩٦م، ١/١٠٣-١٠٤، وبدران أبو العينين بدران، أصول الفقه الإسلامي، الناشر : مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية، د. ط، د. ت، ص ١١١-١١٢ .

== ? ? ?? ?? ?? ? ?? ? ? ? ? ? ? : ? ? ? ==
_____ ? ??? ? ? ? _____

حال الأصل في الأفعال وهو البناء، حتى يوجد في الأسماء ما يوجب البناء ويوجد في الأفعال ما يوجب الإعراب " (١).

وتعريفه في اصطلاح علماء الفقه: " هو الحكم على الشيء بالحال التي كان عليها من قبل، حتى يقوم دليل على تغير تلك الحال، أو هو جعل الحكم الذي كان ثابتاً في الماضي باقياً في الحال حتى يقوم دليل على تغيره " (٢).

وبَيَّنَّ الدكتور تمام حسان المقصود باستصحاب الحال، فقال: " ويقصدون به مطابقة المقيس عليه لما جرده النحاة من أصل - لأن المقيس عليه قد يختلف عن الأصل فشرطه الاطراد لا مطابقة الأصل -، فإذا طابق المقيس عليه الأصل نشأت الحالة التي يسمونها الاستصحاب " (٣).

واستصحاب الحال من الأدلة المعتمدة عند أبي البركات الأنباري، وهو من أضعف الأدلة، ولذلك لا يجوز التمسك به عند وجود الدليل. وقد اعتمد عليه النحاة في الاستدلال على صحة كلامهم، وفي استنباط القواعد والأحكام التي قرروها، وهو موجود في ثنايا مؤلفات كثير منهم.

(١) أبو البركات الأنباري، لمع الأدلة، ص ١٤١ .

(٢) خلاف : عبد الوهاب، علم أصول الفقه، الناشر : دار القلم، ط/١٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٩١ .

(٣) حسان : تمام ، الأصول " دراسة ايستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي "، ص ٢١٦

المبحث الثاني :

أولاً : أشهر النحاة

١ - أشهر نحاة المذهب البصري :

ظهر علماء كثيرون من أتباع المذهب البصري، ومشاهيرهم :

عبد الله بن أبي إسحاق (ت ١٣٧ هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، وعيسى بن عمر التفهني (ت ١٤٩ هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، وسيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ)، ويونس بن حبيب بن عبد الرحمن الضبي (ت ١٨٢ هـ)، والأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ)، والملازني: أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية (ت ٢٤٨ هـ)، والميرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)، وأبو علي الفارسي : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧ هـ)، وابن جني: أبو الفتح بن عثمان (ت ٣٩٢ هـ).

٢ : أشهر نحاة المذهب الكوفي :

ظهر علماء من أتباع المذهب الكوفي، وكان أشهرهم:

أبو جعفر الرؤاسي : محمد بن سارة (ت ١٨٧ هـ)، الكسائي : أبو الحسن علي بن حمزة (ت ١٨٩ هـ)، الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧ هـ).

٣ : أشهر النحاة الذين خلطوا بين المذهبين :

ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، والأخفش الصغير: أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل (ت ٣١٥ هـ)، وابن السراج: أبو بكر محمد بن السري النحوي (ت ٣١٦ هـ)، وابن كيسان: محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن النحوي (ت ٣٢٠ هـ).

== ? ? ?? ?? ?? ? ?? ? ? ? ?
_____ ? ??? ? ? ? :? ? ? _____

٤ : أشهر النحاة في مصر والأندلس :

في مصر : ابن الحاجب : جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت ٦٤٦ هـ)،
وابن هشام : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، ابن عقيل : عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٧٦٩ هـ)،
والسيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ).

في الأندلس : ابن عصفور : أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي (ت ٦٦٩ هـ)، وابن مالك : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني (ت ٦٧٢ هـ)، وأبو حيان الأندلسي : أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ).

ثانيًا : أبو علي الفارسي وابن جني بصريان لا بغداديان.

لله درهما، ما أفصحهما، وأكثر علمهما، وما أجمل كتبهما ! هذان العالمان البصريان المشهوران بالمذهب النحوي البصري، وإن سكنا بغداد وغيرها من المدن، فهما ليسا بغداديين، وإنما بصريا المذهب، فقد زعم شوقي ضيف أنّهما بغداديان، وهذا زعم خاطئ. فقد قال محقق الخصاص^(١): "وكان ابن جني كشيخه أبي علي بصريًا، فهو يجري في كتبه، ومباحثه على أصول هذا المذهب، وهو ينافح عنه ويدّب، ولا يألوا في ذلك جهدًا".

ثالثًا : خصائص المذهب النحوي البصري

١ - السماع^(٢): كان نخاة البصرة ينتقلون في البوادي لكي يسمعوا من الأعراب الفصحاء، أو الالتقاء بهم في الأسواق التجارية، أو التجمعات الأدبية كالمرید. وكان الخليل بن أحمد كثير الترحال إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة لرؤية الأعراب والسماع منهم، وأخذ اللغة، ومراقبة كلامهم واستقراءه. قال سيويه: "وسمعنا العرب الموثوق بهم يقولون"، و"سمعنا العرب الفصحاء"^(٣). وقد وقفوا عند منتصف القرن الثاني الهجري في اللغة المنشورة، وفي الشعر كان إبراهيم بن هرمة (ت ١٥٠هـ) آخر شاعر احتج بشعره البصريون.

(١) ابن جني، الخصائص - مقدمة المحقق - محمد علي النجار، ١ / ٤٤.

(٢) ينظر: الأفغاني: سعيد، من تاريخ النحو، دار الفكر - بيروت، ط/٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م،

ص ٦٤، والأفغاني، في أصول النحو، ص ١٩٧، والحديشي، المدارس النحوية، ص ٩٥.

(٣) سيويه، كتاب سيويه، ١ / ٣٣٠، و٤٧٨/٤.

===== ? ? ?? ?? ?? ?? ?? ? ? ?
===== ? ??? ? ? ? : ? ? ?

٢- القياس^(١): كان نحاة البصرة يقيسون على الكثير المطرد من كلام العرب الذي سمعوه، وكان الخليل بن أحمد إمام القياس في المذهب البصري، وقد قاسوا على القرآن الكريم، وقد نظموا القياس، وأخرجوا الشاذ من القياس، وكان قياسهم ثابتًا لا يتغير بتغير المسموع، واشتدوا في اللغات التي يقاس عليها أن تكون فصيحة مختارة، وقد عدوا لغة قريش أفصح اللغات.

٣- كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، وقراءته، وقاسوا على آياته ما أجازوا من قواعد، وأجازوا ما جاء في قراءاته المتواترة، ولكن المازني والمبرد كانا يطعنا في القراءات.

٤- كان احتجاجهم بالحديث الشريف قليلاً^(٢).

رابعًا : خصائص المذهب النحوي الكوفي :

١- السماع^(٣): توسع نحاة الكوفة في السماع حتى أنهم سمعوا من أعراب الحطمية المجاورين لبغداد، وكانوا يتساهلون في السماع، ولم يقفوا بالسماع عند إبراهيم بن هرمة (ت ١٥٠ هـ)، بل تجاوزوه وسمعوا من المعاصرين لهم من الشعراء، وكانوا يهتمون برواية الشعر العربي القديم كثيرًا.

وقد افتخر البصريون على الكوفيين بقولهم: " نحن نأخذ اللغة عن حرشة " أكلة " الضباب وأكلة اليرابيع " أي البدو الخالص "، وأنتم تأخذونها عن أكلة

(١) الأفغاني، من تاريخ النحو، ص ٧٠، والأفغاني، في أصول النحو، ص ٢٠٥، الحديثي، المدارس النحوية، ص ٩٦.

(٢) ينظر: الحديثي: حديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، دار الرشيد - بغداد، ط/١، د.ت، ص ٤٢٣.

(٣) ينظر: الأفغاني، من تاريخ النحو، ص ٦٤، والأفغاني، في أصول النحو، ص ١٩٧، والحديثي، المدارس النحوية، ص ١٧٥.

== ? ? ?? ?? ?? ?? ?? ?? ? ? ? ?
----- ? ??? ? ? ? :? ? ? -----

وتابعه تلميذه الفراء الذي انصرف إلى العمل القرآني، فجسر النحاة الذين عاصروه أو جاؤوا بعده على تخطئة الفراء والظعن في القراءات ابتداءً من المازني^(١).

٤- لم يحتجوا بالحديث الشريف.

خامسًا : المصطلحات النحوية^(١):

١ : مصطلحات المذهب النحوي البصري

كان لقرب مصطلحات المذهب البصري من المنطق، ولسهولتها ودقتها دورًا في انتشارها في كثير من كتب النحو، ومن أهم مصطلحات المذهب البصري: المبتدأ والخبر، الفاعل، المفعول به، المفعول المطلق، المفعول فيه، المفعول لأجله، المفعول معه، لا النافية للجنس، البدل، الصفة، النفي، اسم الفاعل، لام الابتداء، التمييز، قسموا الفعل إلى ماضٍ ومضارع وأمر، وقسموا الكلام إلى : اسم، وفعل، وحرف.

٢ : مصطلحات المذهب النحوي الكوفي

لصعوبة مصطلحات المذهب الكوفي عند الدارسين، ولعدم وجود كتب نحو تمثل المذهب الكوفي بجميع خصائصه ؛ أدى ذلك إلى عدم انتشار مصطلحات المذهب الكوفي في كتب النحو، ومن أشهر مصطلحات المذهب الكوفي: النعت، الجحد، لا التبرئة، الصلة، الفعل الدائم، المفعول به، أشباه المفاعيل، الخفض، الأدوات، التفسير، وقسموا الفعل إلى ماضٍ ومستقبل ودائم، وقسموا الكلام إلى: اسم، وفعل، وأداة. وقد شاع بعضها واشتهر مثل : النعت، الجحد، الخفض، الأدوات، التفسير.

(١) ينظر : القوزي : عوض حمد، المصطلح النحوي- نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث

الهجري، جامعة الرياض، ط/١، ١٩٨١م، بتصرف من ص ١٨٣-١٨٩.

سادسًا : لِمَ لَمْ يصل إلينا كتاب في النحو الكوفي ؟

مَّا سبق نستنتج لِمَ لَمْ يصلنا كتاب في النحو الكوفي ؟ كما وصلتنا كتب في النحو البصري، ومن أهمها : كتاب سيويه ؛ لأن الكوفيين لم يضعوا منهاج معين، أو خطة منظمة يسيرون عليها في مذهبهم النحوي، تنظّم آراءهم وأفكارهم، وقواعدهم، ولكنهم انصرفوا إلى المناظرات والمجادلات، ورواية الشاذ والنادر، وسماع مَنْ لا يوثق بفصاحته، والتفاخر بذلك، وعند النظر في مصطلحاتهم ؛ فإنك تجد بعضها قد جاء من باب المخالفة للمذهب النحوي البصري.

كل هذه الأسباب أدت إلى عدم ظهور كتاب يمثل المذهب النحوي الكوفي، وكان أول كتاب وصلنا يمثل المذهب النحوي الكوفي هو كتاب " معاني القرآن "، للفراء (٢٠٧ هـ)، وهذا الكتاب حفظ لنا بعض آراء التي تمثل المذهب النحوي الكوفي، وبعضها تناثر في بطون الكتب.

سابعًا : هل عندنا مذهب نحوي بغدادي ؟

كانت بغداد عاصمة الدولة الإسلامية، وقد أصبحت مركزًا حضاريًا، فكان العلماء إليها يأتون بحثًا عن العلم والعمل في التعليم في مراكزها، أو في قصور الخلفاء والولاة، وكان نتيجة لذلك أن يقوم بعض العلماء بتعليم أبناء الخلفاء اللغة، والنحو، والأدب العربي، وكان من أشهر نخبة الكوفة الذين انتقلوا إلى بغداد الكسائي، والفراء، وهم من أصحاب المذهب النحوي الكوفي.

وقد بالغ بعض المعاصرين حينما ذهبوا إلى وجود مذهب بغدادي " مدرسة بغدادية " في النحو ؟ وهذا القول لا يثبت أمام البحث ؛ لأنه لم تصلنا كتب نحوية تمثل المذهب البغدادي لها أصول في القياس والسماع، والإجماع، واستصحاب الحال،

